

إِيَّاكَ والكبر (قصة أصحاب الجنتين)

الصف العاشر



الأستاذ إبراهيم حجاج

تابعوا كل جديد من خلال صفحتنا على الفيس بوك

الأستاذ إبراهيم حجاج

<https://web.facebook.com/TeacherIbrahimHajjaj/>

وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنَّا أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاءً غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤)

تفسير الآيات :

وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا

يقول الله تعالى بعد ذكر المشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء والمساكين من المسلمين، وافتخروا عليهم بأموالهم وأحسابهم، فضرب لهم مثلا برجلين، جعل الله { لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ } أي: بستانين من أعناب،

محفوفتين بالنخل وفي خلالهما الزروع، وكل من الأشجار والزروع مثمر
مقبل في غاية الجود؛ ولهذا قال: { كَلْنَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا } أي: خرجت
ثمرها { وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا } أي: ولم تنقص منه شيئاً { وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا
نَهْرًا } أي: والأنهار تتخرق فيهما هاهنا وهاهنا.

{ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ } قيل: المراد به: المال

فقال - أي صاحب هاتين [الجننتين] - { لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ } أي:
يجادله ويخاصمه، يفتخر عليه: { أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا } أي:
أكثر خدماً وحشماً وولداً.

وقوله: { وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ } أي: بكفره وتمرده وتكبره وتجبره
وإنكاره المعاد { قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا } وذلك اغترار منه، لما رأى
فيها من الزروع والثمار والأشجار والأنهار، ظن أنها لا تفنى ولا تفرغ
ولا تهلك ولا تتلف وذلك لقلّة عقله، وضعف يقينه بالله، وإعجابه بالحياة
الدنيا وزينتها، وكفره بالآخرة؛ ولهذا قال: { وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً }
أي: كأنه { وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا } أي: ولئن كان
معاد ورجعة ومردّ إلى الله، ليكوننّ لي هناك أحسن من هذا لأنني محبوب
عند ربي، ولولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا.

قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا
(٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا
شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَى أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي
خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ
مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١)

يقول تعالى مخبراً عما أجابه صاحبه المؤمن، واعظاً له وزاجراً عما هو فيه من الكفر بالله و الاعتراض: { أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا } ؟ وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه، الذي خلقه وابتدأ خلق الإنسان من طين وهو آدم .

قال: { لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي } أي: أنا لا أقول بمقالتك، بل أعترف لله بالربوبية والوحدانية { وَلَا أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا } أي: بل هو الله المعبود وحده لا شريك له.

ثم قال: { وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتُ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنِّيًا أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَا لَا وَوَلَدًا } أي: هلا إذا أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك، وأعطاك من المال و الولد ما لم يعطه غيرك، وقلت: { مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ } ؛ ولهذا قال بعض السلف: من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده أو ماله، فليقل: { مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ } وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة.

وقوله: { فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ } أي: في الدار الآخرة { وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا } أي: على جنتك في الدنيا التي ظننت أنها لا تبيد ولا تفنى { حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ } قال ابن عباس، والضحاك، وقتادة، ومالك عن الزهري: أي عذاباً من السماء .

والظاهر أنه مطر عظيم مزعج، يقلع زرعها وأشجارها؛ ولهذا قال: { فَتُضْبِحُ ضَعِيفًا رَلَقًا } أي: بلقاً تراباً أملس، لا يثبت فيه قدم.

وقال ابن عباس: كالجرز الذي لا ينبت شيئاً.

وقوله: { أَوْ يُضْبِحَ مَأْوَهَا غَوْرًا } أي: غائراً في الأرض { أَوْ يُضْبِحَ مَأْوَهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا } والغور: مصدر بمعنى غائر، وهو أبلغ منه .

وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّهُ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ
يَا لَيْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ
مُنْتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤)

يقول تعالى: { وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ } بأمواله، أو بثماره على القول الآخر.
والمقصود أنه وقع بهذا الكافر ما كان يحذر، مما خوّفه به المؤمن من
إرسال الحسابان على جنته، التي اغتر بها ، { فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّهُ عَلَى
مَا أَنْفَقَ فِيهَا } وقال قتادة: يُصَفِّقُ كفيه متأسفًا متلهفًا على الأموال التي
أذهبها عليه { وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ } أي:
عشيرة أو ولد، كما افتخر بهم واستعز { يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ
مُنْتَصِرًا هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ } اختلف القراء هاهنا، فمنهم من يقف
على قوله: { وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا هُنَالِكَ } أي: في ذلك الموطن الذي حل به
عذاب الله، فلا منقذ منه. وابتدئ [بقوله] (٣) { الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ } ومنهم
من يقف على: { وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا } وابتدئ بقوله: { هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ
الْحَقِّ } .

وقوله: (هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا) خير للمنيبين في العاجل والآجل ثواباً (وَخَيْرٌ
عُقْبًا) وخيرهم عاقبة في الآخرة إذا صار إليه المطيع له، العامل بما أمره
الله، والمنتهي عما نهاه الله عنه ، والعقب هو العاقبة، يقال: عاقبة أمر
كذا وعقباه وعقبه، وذلك آخره وما يصير إليه منتهاه.